سمات التأليف والتحرير للحجاوي في زاد المستقنع من أول كتاب البيوع إلى باب الربا والصرف

Characteristics of Al - Hajjawi's Authorship and Editorial Method in Z**ā**d al - Mustaqni‘: From the Beginning of the Book of Sales (Kit**ā**b al - Buy**ū**‘) to the Chapter on Rib**ā** and Currency Exchange (B**ā**b al - Rib**ā** wa al - **Ṣ**arf)

عبد الله سعد سالم العازمي

ماجستير الفقه المقارن وأصول الفقه - جامعة الكويت

Abdullah Saad Salem Al - Azmi

Master of Comparative Fiqh and Uṣūl al - Fiqh,

Kuwait University

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 43
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 43
ISSN: 2225-9732
August 2026

الملخص

تتناول هذه الدراسة سمات التأليف والتحرير عند الإمام الحجاوي في كتابه «زاد المستقنع»، وتحديداً في المساحة الفقهية الممتدة من أول كتاب البيوع إلى باب الربا والصرف؛ وذلك بهدف الكشف عن الملامح المنهجية التي صاغ بها الحجاوي هذا المتن، وبيان القيمة العلمية لطريقته في ضبط المسائل وترتيبها. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال استقراء نصوص الحجاوي ووصف مسالك الترتيب والتفريع فيها، ثم تحليل الأدوات الصياغية التي اعتمدها في عرض الأحكام الفقهية.

وقد انتظمت خطة البحث في مقدمة ومبحثين تناول المبحث الأول ترجمة المصنف وأهمية دراسة مناهج العلماء، تلاه المبحث الثاني التحليلي رصد السمات الصياغية والتحريرية في أبواب المعاملات المالية محل الدراسة. وخلص البحث إلى مجموعة من النتائج العلمية، أبرزها أن منهج الحجاوي اتسم بالإيجاز الشديد مع إحكام البناء الفقهي، حيث يعمد إلى تقديم القواعد والضوابط الكلية والتعريفات قبل الخوض في الشروط والقيود، مع عناية ظاهرة بالتقسيم المنهجي الذي يجمع المتناظرات ويفرق بين المتشابهات بآثارها الفقهية، مقتصراً في ذلك على القول المعتمد في المذهب دون استطراد في الأدلة أو الخلاف. وتبرز الدراسة أهمية إيراد الأمثلة التطبيقية المختصرة التي تزاوج بين التأصيل والتصوير العملي للمسألة.

وفي ختام الدراسة، يوصي الباحث بضرورة توسيع نطاق البحث المنهجي ليشمل بقية أبواب الكتاب، وتوجيه الباحثين نحو الدراسات المقارنة بين مناهج أصحاب المتون الفقهية؛ لما له من أثر في تنمية الملكة الفقهية وفهم طرائق العلماء في بناء المسائل وعرضها.

الكلمات المفتاحية: الحجاوي، زاد المستقنع، كتاب البيوع، سمات التأليف، الفقه الحنبلي، المناهج الفقهية.

Abstract:

This study explores the characteristics of authorship and editorial refinement in Imam al - Hajjawi's work, «Zad al - Mustaqni',» specifically focusing on the jurisprudential scope extending from the beginning of the «Book of Sales» (Kitab al - Buyu') to the «Chapter on Usury and Currency Exchange» (Bab al - Riba wa al - Sarf). The research aims to uncover the methodological features through which al - Hajjawi formulated this text, highlighting the scholarly value of his approach to organizing and codifying legal issues. Adopting a descriptive - analytical methodology, the study extrapolates al - Hajjawi's texts, describes the pathways of arrangement and branching therein, and analyzes the linguistic and structural tools employed in presenting legal rulings.

The research plan is structured into an introduction and two main sections: the first section addresses the author's biography and the significance of studying scholarly methodologies, followed by a second analytical section that monitors the stylistic and editorial traits within the financial transaction chapters under study. The research concludes with several scholarly findings, most notably that al - Hajjawi's methodology is characterized by extreme conciseness combined with a robust jurisprudential structure. He typically presents general rules, criteria, and definitions before delving into specific conditions and restrictions. Furthermore, the study observes a clear emphasis on systematic classification that groups analogous issues and distinguishes between similar ones based on their legal implications, while strictly adhering to the authoritative opinion (al - Qawl al - Mu'tamad) of the Hanbali school without digressing into evidence or legal disputes. The study also underscores the importance of including brief practical examples that bridge the gap between theoretical foundationalism and practical application.

In its conclusion, the study recommends expanding the scope of methodological research to include the remaining chapters of the book and encourages researchers to conduct comparative studies between the methodologies of various authors of jurisprudential

texts (Mutun), given their impact on developing legal intuition (al - Malakah al - Fiqhiyyah) and understanding the ways scholars construct and present legal issues.

Keywords: al - Hajjawi, Zad al - Mustaqni', Book of Sales, Authorship Characteristics, Hanbali Jurisprudence, Jurisprudential Methodologies.

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد؛

يُعد متن «زاد المستقنع» للإمام موسى بن أحمد الحجاوي من أشهر المتون المعتمدة في الفقه الحنبلي، لما امتاز به من دقة العبارة وشدة الاختصار وحسن ترتيب المسائل، حتى صار عمدةً في التعليم والشرح، وتظهر قيمة هذا المتن بوضوح في كتاب البيوع؛ لكثرة مسائله واتصالها المباشر بمعاملات الناس وحاجتها إلى تحريرٍ منضبطٍ يميّز بين الصور ويضبط القيود والشروط.

ويأتي هذا البحث بعنوان: «سمات التأليف والتحرير للحجاوي في زاد المستقنع من أول كتاب البيوع إلى باب الربا والصرف» للكشف عن أبرز ملامح صناعة الحجاوي لهذا المتن في هذا الجزء، من حيث طريقة عرض المسائل، وصياغة القيود والضوابط، ومستوى الاختصار والدقة، وتنبع أهمية الموضوع من أنه يعين على فهم عبارة المتن واستيعاب بنائه، ويهيئ قراءةً منهجيةً للبيوع وصولاً إلى مسائل الربا والصرف التي تُعد من أدق أبواب المعاملات.

أولاً: أهمية البحث:

١ - التعرف على أهمية دراسة مناهج العلماء .

٢ - التعرف على سمات التأليف عند الحجاوي في كتابه زاد المستقنع من أول كتاب البيوع إلى باب الربا والصرف .

ثانياً: مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة الدراسة في السؤال الآتي:

ما أبرز سمات التأليف والتحرير عند الحجاوي في متن زاد المستقنع من أول كتاب البيوع إلى باب الربا والصرف ؟

ثالثاً: أهداف البحث:

١ - معرفة أهمية دراسة مناهج العلماء.

٢ - معرفة سمات التأليف عند الحجاوي في كتابه زاد المستقنع .

رابعاً: أسباب اختيار البحث:

١ - تطلّعي إلى دراسة طرائق العلماء في التأليف والتحرير، والوقوف على أساليبهم في عرض المسائل وصياغتها ؛ لما في ذلك من أثر واضح في تنمية الملكة الفقهية وحسن فهم المتون، ومن هنا وقع اختياري على «زاد المستقنع» للحجاوي، ولا سيما في كتاب البيوع إلى باب الربا والصرف، لما يظهر فيه من دقة العبارة وإحكام البناء وكثرة ما يحتاجه الدارس من تحرير وفهم لأسلوب المؤلف.

خامساً: الدراسات السابقة:

لم أقف على بحث تناول سمات التأليف عند الحجاوي في كتابه زاد المستقنع، وإنما وجدت بعض الدراسات التي تتناول مناهج الأصوليين في كتبهم على النحو الآتي:

١ - المناهج الأصولية في دراسة موضوعات التعارض والترجيح موازنة ومقارنة: للباحثة هبة محمد خالد منصور. بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، العدد (١٩٢)، الجزء الثاني، مارس ٢٠٢٠م. حيث أن الباحثة تحدثت عن مناهج الأصوليين في مباحث التعارض والترجيح، أما هذا البحث فهو يتناول جانباً آخر من علوم وهو علم الفقه، فقد تناولت فيه منهجه الفقيه الحجاوي في باب البيوع من كتابه زاد المستقنع .

٢ - ترتيب الموضوعات الأصولية ومناسباته.. دراسة استقرائية تحليلية: للدكتور هشام محمد، كتاب منشور، دار أم القرى. حيث قام الباحث بتتبع وعرض الموضوعات الأصولية من الكتب الأصلية لجميع موضوعات أصول الفقه، فقام باستقراء وتتبع كتب الحنفية، والشافعية، والمالكية، والحنابلة، والظاهرية، والمعتزلة، ثم تطرق لكتب المدرسة الجامعة، فهذا البحث يتناول مناهج الأصوليين، أما بحثي فقد تطرقت فيه لمنهج الفقيه الحجاوي في كتابه .

سادساً: الجديد في البحث:

١ - التعرف على سمات التأليف عند الحجاوي في كتابه زاد المستقنع من أول كتاب البيوع إلى باب الربا والصرف .

سابعاً: منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك من خلال تتبّع نصوص «زاد المستقنع» للحجاوي في نطاق الدراسة (من أول كتاب البيوع إلى باب الربا والصرف)، ثم وصف طريقة المؤلف في ترتيب الأبواب وعرض المسائل، وتحليل عباراته المختصرة .

ثامناً: إجراءات البحث:

١ - الاعتماد على المصادر، والمراجع الأصلية في الدراسة، والتحرير، والتوثيق، والتخريج، والجمع.

٢ - التركيز في موضوع البحث، وتجنب الاستطراد في غير محله.

٣ - كتابة الآية من المصحف، مع ذكر السورة، والرقم.

٤ - تخريج الأحاديث من كتب الصحاح، والسنن.

٥ - شرح الألفاظ الغريبة من كتب اللغة.

٦ - لا أترجم للأعلام، سواء المشهورين، أو غير المشهورين، وأكتفي ببيان الاسم الثلاثي، وسنة الوفاة، والمصدر.

٧ - عند الإحالة لأول مرة عند ذكر المرجع: أذكر تفاصيل المرجع الذي أحيل إليه (اسم المؤلف، المرجع، التحقيق، الناشر، الطبعة، الصفحة، والجزء) وذلك عند أول ذكر له؛ ثم عند الإحالة إليه مرة أخرى يذكر اسم المؤلف، والمرجع والجزء، ورقم الصفحة فقط.

تاسعاً: خطة البحث:

تتكون الدراسة من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفق الآتي:

المبحث الأول: ترجمة الحجاوي، وبيان أهمية دراسة مناهج العلماء، وفيه مطلبان المطلب الأول: ترجمة الحجاوي.

- المطلب الثاني: أهمية دراسة مناهج العلماء .

المبحث الثاني: سمات التأليف والتحرير للحجاوي في زاد المستقنع من أول كتاب البيوع إلى باب الربا والصرف، وفيه مطلبين:

- المطلب الأول: سمات التأليف والتحرير للحجاوي في زاد المستقنع من أول كتاب البيوع إلى باب الربا والصرف .

المطلب الثاني: التحليل التطبيقي لسمات التأليف والتحرير عند الحجاوي

الخاتمة:

فهرس المصادر والمراجع:

المبحث الأول: ترجمة الحجاوي، وبيان أهمية دراسة مناهج العلماء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول ترجمة الحجاوي

سأتكلم بهذا المطلب عن نبذة مختصرة عن الحجاوي، اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته، وشيوخه، وتلامذته، ومصنفاته، ووفاته:

· اسمه ونسبه:

هو موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن أحمد بن عيسى بن سالم شرف الدين أبو النجا الحجاوي المقدسي ثم الصالحي . (١)

· نشأته:

وُلِد رحمه الله سنة (٨٩٥هـ) في قرية حَجّة، وهي من قرى نابلس، ونشأ فيها نشأةً علمية طيبة، وقد بدأ في صغره بقراءة القرآن الكريم، ثم تلقّى المقدمات العلمية وبعض الفنون التي كانت تُدرَّس في بداية الطلب، فتهيأت له بذلك أدوات التحصيل الأولى، ثم اتجه بعد ذلك إلى الفقه، فأقبل عليه إقبالاً ظاهراً، واعتنى به عنايةً كبيرة، حتى صار من أبرز ما صرف إليه همته في طلب العلم. ثم ارتحل بعد ذلك إلى دمشق، وكانت يومئذٍ من الحواضر العلمية المشهورة، فنزل بها، وسكن في مدرسة أبي عمر رحمه الله، وواصل فيها تحصيله العلمي وتكميل معارفه.(٢)

· شيوخه وتلامذته:

قرأ الحجاوي رحمه الله على عدد من علماء عصره، ولازمهم في طلب العلم حتى برع في الفقه، وفاق فيه كثيراً من أقرانه، واشتهر بسعة معرفته وتمكنه العلمي، ومن أبرز شيوخه: العلامة الشويكي، وقد قرأ عليه الفقه حتى بلغ فيه مبلغا عظيما، وتمكن منه تمكنا تاماً، ومنهم أيضاً الشيخ عمر بن مفلح، والشيخ كمال الدين الحسيني، إلى جانب غيرهم من أهل العلم الذين أخذ عنهم وانتفع بهم.

ولم يقتصر أثره على التحصيل والأخذ عن الشيوخ، بل امتد إلى التعليم والإفادة، فتخرج على يديه عدد من الطلبة الذين حملوا علمه وانتفعوا به، ومن أشهر تلامذته: ولده يحيى، وشهاب الدين الوفائي، وإبراهيم الأحمد الصالحي، كما قصده طلاب العلم من خارج بلده، ومن ذلك

(١) الحجاوي، موسى بن أحمد (ت ٩٦٨هـ): زاد المستقنع في اختصار المقنع، تحقيق عبدالرحمن العسكر، مدار الوطن للنشر، مقدمة المحقق (ص ١٤).

(٢) المرجع السابق .

أن جماعة من أهل نجد ارتحلوا إليه للأخذ عنه والدراسة على يديه، ومنهم: أحمد بن مشرف، وزامل بن سلطان، وعثمان بن أبي حميدان، ومحمد بن أبي حميدان، مما يدل على مكانته العلمية، وذيوع صيته في التعليم والإقراء. (١)

· مصنفاته، ووفاته:

خلّف الحجاوي رحمه الله عدداً من المؤلفات النافعة التي نالت منزلة رفيعة عند فقهاء الحنابلة، وتداولها أهل العلم بالقبول والعناية، وكان لها أثر ظاهر في الدرس الفقهي والتحصيل العلمي، ومن أبرز مؤلفاته كتاب «الإقناع» في الفقه، وهو من أشهر كتبه وأعظمها قدراً عند الحنابلة، ومن مصنفاته كذلك اختصاره لكتاب «المقنع»، وهو الكتاب الذي سمّاه «زاد المستقنع في اختصار المقنع»، وهو محلّ البحث هنا، وقد كتب الله له قبولاً واسعاً، ونفعاً كبيراً بين طلاب العلم والعلماء، مع ما امتاز به من وجازة اللفظ، وحسن الترتيب، ودقة العبارة.

وله أيضاً مؤلفات أخرى تدل على سعة علمه وتنوع عنايته، من ذلك حاشية التنقيح، كما نظم منظومة في الآداب، ووضع لها شرحاً، مما يكشف عن عنايته بالتصنيف والتعليم، وحرصه على تقريب العلم وتيسيره لطالبيه.

ثم ختم رحمه الله حياته الحافلة بالعلم والتعليم والتصنيف، فتوفي يوم الخميس (١٢ ربيع الأول ٩٦٨هـ) فرحمه الله رحمة واسعة، وعفا عنه، وجزاه عن العلم وأهله خير الجزاء، ونفع بعلمه .

المطلب الثاني: أهمية دراسة مناهج العلماء

سأبيّن في هذا المطلب أهمية دراسة مناهج العلماء، ووجه العناية بها؛ إذ إن الوقوف على مناهجهم له فوائد علمية ومنهجية متعددة، من أبرزها:

١. معرفة الفروق المنهجية بين العلماء في ترتيب المسائل وطريقة تناولها.

٢. تأهيل الباحث لكتابة البحث بطريقة منهجية؛ لأن دراسة مناهج العلماء تعينه على بناء فصل علمي متناسق في العرض والاستدلال.

٣. الإسهام في فهم طريقة كل عالم في كتابه، مما يساعد القارئ على القراءة بوعي، وإدراك أسباب الإيجاز والإطناب.

(١) الحجاوي، موسى بن أحمد (ت ٩٦٨هـ): زاد المستقنع في اختصار المقنع، تحقيق عبدالرحمن العسكر، مدار الوطن للنشر، مقدمة المحقق (ص ١٤).

٤. الكشف عن مقدار العناية المنهجية التي يوليها كل عالم لبعض الأدلة، من خلال إفرادها بباب مستقل، أو التوسع في بحثها، وبيان حجيتها وحكمها.

٥. إبراز خصوصية كل عالم وتميّز طريقته في التصنيف والعرض.

٦. الإعانة على فهم غاية العلماء ومقاصدهم من خلال معرفة مناهجهم في عرض الموضوعات.

٧. تيسير فهم المسائل؛ لأن معرفة طريقة عرض الموضوع تجعل إدراكها أقرب وأوضح.

٨. فك رموز المصطلحات ودلالات الألفاظ: لكل مؤلف «خريطة اصطلاحية» وألفاظاً يخصها بدلالات معينة (مثل: وعنه، وفي قول، والتنقيح، والمذهب). ومعرفة المنهج هي السبيل الوحيد لفك هذه الشفرات(١).

٩. إدراك وجه المناسبة وترتيب الأبواب: إن ترتيب المسائل يعكس رؤية منهجية في الربط بين الفروع والأصول، و إدراك «وجه المناسبة» يمنح الباحث تصوراً كلياً للبناء المذهبي(٢).

١٠. تنمية الملكة الفقهية والقدرة على المحاكاة: دراسة «طرائق التصنيف» تربي لدى الطالب «الملكة الفقهية»، وتجعل لديه قدرة على تصوير المسائل المعاصرة على غرار المسائل القديمة(٣).

٤. التمييز بين المعتمد وغيره في المذهب: الباحث لا يستطيع الجزم بأن هذا هو «قول الطائفة» أو «المذهب» إلا إذا عرف منهج المؤلف في اختيار الأقوال وتحريرها، خاصة في المتون المختصرة(٤).

٥. الوعي بأسباب الإيجاز والإطناب: دراسة المنهج توضح لماذا «اختصر» العالم في موضع و «أطنب» في آخر؛ فالاختصار غالباً ما يكون في القواعد المستقرة، والإطناب في مشكلات المسائل(٥).

٦. معرفة طرق الاستدلال وبناء الأحكام: المنهج هو الجسر الذي يربط «الفرع المادي» بـ«الأصل الشرعي» أو القاعدة الكلية التي تضبط الباب(٦).

(١) أبو زيد، بكر. (١٤١٧هـ). المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل. دار العاصمة، ج٢، ص (٩٣٢ - ٩٤٠).
(٢) الدهلوي، شاه ولي الله. (١٩٨٤). الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف. دار النفائس، ص (٣٤ - ٣٦).
(٣) التوثيق: الزرقا، مصطفى. (١٩٩٨). المدخل الفقهي العام. دار القلم، ج١، ص (٢٧٥ - ٢٧٨).
(٤) التوثيق: الباحسين، يعقوب. (١٤١٤هـ). التخريج عند الفقهاء والأصوليين. مكتبة الرشد، ص (١٤٥ - ١٤٨).
(٥) الندوي، علي أحمد. (١٩٩٤). القواعد الفقهية. دار القلم، ص (٣١٢ - ٣١٥).
(٦) التوثيق: الخادمي، نور الدين. (٢٠٠٥). علم المقاصد الشرعية. مكتبة العبيكان، ص (١٨٢ - ١٨٥).

المبحث الثاني: سمات التأليف والتحرير للحجاوي في زاد المستقنع من أول كتاب البيوع إلى باب الربا والصرف

المطلب الأول: سمات التأليف والتحرير للحجاوي في زاد المستقنع من أول كتاب البيوع إلى باب الربا والصرف

سأتناول في هذا المطلب سمات التأليف والتحرير للحجاوي في زاد المستقنع من أول كتاب البيوع إلى باب الربا والصرف:

يتبين من خلال استقراء كلام الإمام الحجاوي رحمه الله في كتاب البيوع من زاد المستقنع أن منهجه في التأليف والتحرير يقوم على قدر كبير من الترتيب، والإحكام، والاختصار، إذ يبتدئ غالباً بذكر الضابط العام، ثم يتبع ذلك بما يتفرع عنه من شروط، وأقسام، وأمثلة، وأمثلة تطبيقية، فقد بدأ في بداية كتاب البيع ببيان تعريف البيع تعريفاً جامعاً، فذكر حقيقته وما يخرج عنه، كالرِّبا والقرض، مما يدل على عنايته ببيان ماهية العقد قبل الخوض في تفصيل أحكامه، ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان صيغة العقد، فذكر انعقاد البيع بالإيجاب والقبول، قولاً وفعلاً، وما يتصل بذلك من أحكام المجلس، ثم شرع في ذكر شروط صحة البيع مرتبةً ترتيباً منطقياً، فبدأ بما يتعلق بالعاقد من التراضي وجواز التصرف، ثم ما يتعلق بالمعقود عليه من إباحة النفع، والملك، والقدرة على التسليم، والعلم بالمبيع، ثم ختم بما يتعلق بالثمن من اشتراط العلم به وانتفاء الجهالة فيه[1]، وهذا كله يكشف عن عنايته بترتيب المسائل ترتيباً فقهياً متدرجاً، ينتقل فيه من الكلي إلى الجزئي، ومن الأصل إلى الفرع.

ويظهر كذلك أن الحجاوي يعتمد في عرضه على التقسيم المنهجي، فيجمع المسائل المتقاربة تحت أبواب وفصول، ثم يفرعها إلى أقسام وصور، ويتجلى ذلك بوضوح في باب الشروط في البيع، إذ قسم الشروط إلى صحيحة وفاسدة، ثم بيّن ما يصح منها وما يبطل العقد أو يبطل الشرط وحده، مع إيراد أمثلة متنوعة تقرب المراد، كما يظهر هذا المنهج أيضاً في باب الخيار، حيث قسم الخيار إلى أنواع متعددة، كخيار المجلس، والشرط، والغبن، والتدليس، والعيب، والتخبير بالثمن، واختلاف المتبايعين، ثم عرض أحكام كل نوع على حدة، مبتدئاً في الغالب بذكر الحكم الكلي،

(١) انظر: الحجاوي، موسى بن أحمد (ت ٩٦٨هـ): زاد المستقنع في اختصار المقنع، تحقيق د. عبدالمحسن محمد القاسم، مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ (١٦٦ - ١٦٩).

ثم ما يتصل به من قيود وتفريعات[١]، ومثل هذا التقسيم يدل على نزعة تعليمية واضحة في تصنيفه، إذ يسهل على القارئ ضبط المسائل ورد الفروع إلى أصولها.

ومن السمات الظاهرة في منهجه أيضاً عنايته ب بناء الأحكام على الضوابط الفقهية، فهو لا يقتصر على ذكر الفروع مفردة، بل يربطها بالأوصاف المؤثرة والعِلل المنضبطة التي ينبني عليها الحكم، ففي باب الربا والصرف ابتدأ بذكر القاعدة العامة في ربا الفضل، ثم بين أحكام المكيل والموزون، وضابط الجنس، واختلاف الأجناس، ثم ذكر ما يندرج تحت ذلك من صور ممنوعة أو جائزة، وكذلك في الفصل المتعلق بربا النسيئة، قرر الحكم العام أولاً، ثم فرّق بين ما يجري فيه الكيل أو الوزن، وما لا يجري فيه ذلك، ورتب على هذا التفريق اختلاف الحكم[٢]، وهذا يدل على أن الحجاوي لا يعرض الأحكام عرضاً متفككاً، بل يبنيها على أسس فقهية منضبطة، تجعل القارئ يدرك وجه الارتباط بين الصور المختلفة.

كما يلاحظ في طريقته أنه يعمد إلى ذكر الأصل ثم بيان الاستثناء، أو يذكر القاعدة ثم يلحق بها ما يخرج عنها من صور مخصوصة، ففي مسائل البيع بعد النداء الثاني للجمعة، وبيع العصير لمن يتخذه خمراً، وبيع السلاح زمن الفتنة، وبيع العبد المسلم للكافر، يقرر المنع، ثم يبين ما يتصل به من استثناءات أو آثار[٣]، وكذلك في أبواب الصرف، يذكر أثر التفرق قبل القبض، ثم يبين ما يبطل من العقد وما لا يبطل، وما يتعين بالتعيين وما لا يتعين، وما يترتب على ظهور الغصب أو العيب[٤]، وهذا المسلك يكشف عن دقة فقهية في تحرير محل الحكم، وحرص على بيان حدوده وما يدخل فيه وما يخرج عنه.

ومن أبرز معالم منهجه كذلك الإكثار من الأمثلة التطبيقية، لكنه لا يوردها على سبيل التوسع، بل يأتي بها مختصرة بقدر ما يوضح الحكم ويقرب صورته، فهو يذكر أمثلة الشروط الصحيحة والفاسدة، وصور التدليس، وأنواع العيوب، وصور التخبير بالثمن، وأمثلة اختلاف الأجناس في الربويات، وغير ذلك، وتفيد هذه الأمثلة في الكشف عن أن منهجه ليس نظرياً محضاً، بل يجمع بين التأصيل الفقهي والتصوير العملي، مع المحافظة على الاختصار والإيجاز.

(١) انظر: المرجع السابق (١٧٢ - ١٧٩).
(٢) انظر: الحجاوي، موسى بن أحمد: زاد المستقنع في اختصار المقنع، (١٨١ - ١٨٣).
(٣) انظر: المرجع السابق (١٧٠).
(٤) انظر: الحجاوي، موسى بن أحمد: زاد المستقنع في اختصار المقنع، (١٨٤).

ومما يظهر أيضاً في عرضه للمسائل أنه يعتني ب التفريق بين الأحكام المتقاربة بحسب أثرها، فيفرق مثلاً بين ما يبطل العقد كله وما يبطل الشرط وحده، وبين ما يثبت فيه الرد وما يثبت فيه الأرش، وبين ما يصح في بعض الصفقة دون بعض، وبين ما يرجع فيه إلى قول البائع أو المشتري عند الاختلاف، وهذا يدل على دقة في التحرير، واهتمام ببيان الآثار الفقهية المترتبة على كل صورة، لا الاكتفاء بمجرد الحكم المجمل.

ومع هذا كله، فإن أبرز سمة في منهج الحجاوي هي الاختصار الشديد الذي يفي بالمطلوب، إذ يورد الأحكام على جهة التقرير، من غير توسع في الأدلة، ولا استطراد في ذكر الخلاف، ولا تعليل مطوّل للمسائل، وإنما يقتصر على المعتمد في المذهب، مع إضافة أهم القيود والتفريعات التي لا يستغني عنها فهم المسألة، وهذا يجعل أسلوبه صالحاً للتدريس والحفظ، ويكشف عن عنايته بالمتن المختصر الذي يجمع أصول الباب ومسائله الكبار في ألفاظ قليلة محكمة.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن منهج الإمام الحجاوي في كتاب البيوع من زاد المستقنع يقوم على أسس واضحة، هي: البدء بالتعريف أو القاعدة الكلية، ثم ترتيب المسائل ترتيباً فقهياً متدرجاً، واعتماد التقسيم والتفريع، وربط الأحكام بضوابطها المؤثرة، وذكر الأصل ثم الاستثناء، والإكثار من الأمثلة المختصرة، والتفريق الدقيق بين الصور المتقاربة، مع الالتزام بالإيجاز والاقتصار على الحكم المعتمد في المذهب، وهذه السمات مجتمعة تكشف عن إحكامه في التصنيف، وعن طابع منهجي واضح في بناء المسائل وتحريرها.

المطلب الثاني: التحليل التطبيقي لسمات التأليف والتحرير عند الحجاوي

أولاً: سمات التأليف (المنهجية والترتيب):

تتجلى عبقرية الحجاوي في بناء المتن من خلال هندسة فقهية دقيقة، ومن شواهدها في البيوع:

١. الابتداء بالماهية والشرط قبل الأثر:

سلك الحجاوي مسلكاً منطقيا؛ حيث بدأ ببيان (ماهية البيع) لغة وشرعا، ثم انتقل فورا إلى (الشروط السبعة) لصحة البيع.

التطبيق: قوله: «شرط لصحة البيع سبعة: التراضي...».

التحليل: هذا الترتيب «الشرطي» يهدف إلى ضبط العقد من أساسه قبل الحديث عن تفاصيله،

وهو منهج «بنائي» يمنع القارئ من الانشغال بالفروع قبل إحكام الأصول(١).

٢. التقسيم الحاصر للمسائل المتقاربة:

يعمد الحجاوي إلى جمع المتشابهات في تقسيمات عددية تسهل الحفظ والضبط.

التطبيق: تقسيمه ل (الخيار) إلى ثمانية أقسام (خيار المجلس، الشرط، الغبن، التدليس... إلخ).

التحليل: هذا «التقسيم الحاصر» هو سمة تعليمية بامتياز، تمنع تداخل الأحكام، وتساعد الفقيه على حصر الاحتمالات القانونية للنزاع في المعاملات المالية(٢).

ثانيا: سمات التحرير (الصياغة والتدقيق الفقهي):

التحرير عند الحجاوي يعني اختيار اللفظ الأقرب للمذهب والأدق في الدلالة.

ومن صوره:

١. التحرير بـ «القيود الاحترازية» (اللفظ المانع):

يستخدم كلمات يسيرة تُخرج صوراً كثيرة من الحكم لتحديد «محل النزاع».

التطبيق: في شروط المبيع، قوله: «أن يكون مقدوراً على تسليمه».

التحليل: هذا القيد (القدرة على التسليم) حرر به الحجاوي عشرات المسائل؛ فخرج به بيع العبد الشارد، والسمك في الماء، والطير في الهواء، دون الحاجة لسردها.

٢. الاختزال الكلي مع كثافة المعنى:

صياغة قاعدة واحدة تنوب عن فصول كاملة.

التطبيق: في باب الربا، قوله: «وكل مكيل أصله الكيل، وموزون أصله الوزن».

التحليل: حسم الحجاوي هنا معيار «الربويات» بجملة قصيرة، مستغنياً عن الخلاف الطويل حول العبرة بعرف البلد أم بعهد الشارع، فاختار «المعتمد» بأوجز لفظ(٣).

٣. التمثيل التطبيقي المختصر (التصوير العملي):

---

(١) الحجاوي، موسى بن أحمد (ت ٩٦٨هـ): زاد المستقنع في اختصار المقنع، تحقيق د. عبد المحسن محمد القاسم، مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ، ص (١٦٦ - ١٦٧(

(٢) المرجع السابق.

(٣) الحجاوي، موسى بن أحمد (ت ٩٦٨هـ): زاد المستقنع في اختصار المقنع، تحقيق د. عبد المحسن محمد القاسم، مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ، ص (١٦٦ - ١٦٧(.

رغم الاختصار، لا يترك القاعدة مجردة بل يلحقها بمثال يوضح صورتها.

التطبيق: في خيار التدليس، قال: «كتصرية اللبن في الضرع».

التحليل: استخدام (التصرية) كنموذج عملي ينقل الفقه من «التنظير» إلى «التصوير»، مما يساعد في فهم العلة الفقهية (الخداع) من خلال مثال واقعي[1].

ثالثاً: الأدوات اللغوية والصناعة الفقهية:

استخدام «الفاء» للتفريع: يستخدم الحجاوي حرف (الفاء) ليربط الحكم بالسبب، مثل قوله: «فإن بيع غيره لم يصح»، مما يظهر التلازم المنطقي بين فقد الشرط وبطلان العقد.

الاقتصار على «القول الواحد»: خلا نصه من عبارات (وفي قول) أو (وعنه) في هذه الأبواب، التزاماً منه بتحرير «المذهب» للمتعلم، ليكون المتن مرجعاً جازماً لا محل استطراد[2].

المطلب الثالث: الأدوات الصياغية والروابط اللفظية ودلالتها الفقهية

يعتمد الإمام الحجاوي في «زاد المستقنع» على لغة فقهية مكثفة، حيث تؤدي الأدوات اللغوية والروابط اللفظية أدواراً تشريعية تحرر الحكم وتضبط الفروع، ومن أبرز هذه الأدوات في كتاب البيوع والربا:

أولاً: دلالة حرف «الفاء» في التفريع والترتيب:

يستخدم الحجاوي (الفاء) لربط الحكم بسببه أو تفريع المنع على فقد الشرط، مما يعكس دقة التحرير المذهبي.

التطبيق: قوله في شروط البيع: «فإن بيع غيره لم يصح»[3].

التحليل: «الفاء» هنا أفادت التفريع والتعقيب؛ فعدم صحة البيع نتيجة حتمية ومباشرة لفقد شرط الملكية، وهذا المسلك الصياغي يختصر على الباحث ذكر الأحكام المستقلة لكل شرط.

(١) المرجع السابق.

(٢) الحجاوي، موسى بن أحمد (ت ٩٦٨هـ: زاد المستقنع في اختصار المقنع، ص (١٦٦ - ١٦٧).

(٣) الحجاوي، موسى بن أحمد: زاد المستقنع في اختصار المقنع ص (١٦٧).

ثانيا: دلالة «أو» في مانعة الخلو (الشمولية):

استخدم الحجاوي حرف (أو) لبيان أن الجهل بأي جزء من المعقود عليه يفسد العقد كليا.

التطبيق: قوله في الغرر والجهالة: «بأصله، أو وصفه، أو قدره»[١] .

التحليل: استخدام (أو) هنا لا يفيد التخيير، بل يفيد أن اختلال أي واحد من هذه الثلاثة كافٍ للحكم ببطلان العقد، وهذا من دقة «التحرير بالاحتراز» التي يمتاز بها الزاد.

ثالثاً: دلالة «حتى» و «إلى» في تحديد الغايات الزمانية والمكانية:

تظهر دقة الحجاوي في تحديد انتهاء الأحكام أو بدئها باستخدام أدوات الغاية، خاصة في أبواب الخيار والصرف.

التطبيق: قوله في خيار المجلس: «ما لم يتفرقا» [٢]، وقوله في الثمار: «حتى يبدو صلاحها»[٣].

التحليل: استخدام هذه الأدوات حرر المسائل من الجهالة الزمانية، وربط الحكم الفقهي بعلامة ظاهرة منضبطة، مما يقطع النزاع بين المتبايعين.

رابعا: استخدام «الاسم الموصول» لتعميم الأحكام:

وظف الحجاوي الأسماء الموصولة (ما، من) لشمول كل ما يدخل تحت القاعدة الفقهية دون استثناء.

التطبيق: قوله في باب الربا: «في كل مكيل وموزون».

التحليل: أداة العموم (كل) المقترنة بوصف (مكيل وموزون) حررت «علة الربا» عند الحنابلة، وجعلت القاعدة تنطبق على كل فرد من أفراد الأجناس الربوية، وهي سمة «التأصيل الشمولي».

(١) المرجع السابق ص(١٦٩).

(٢) الحجاوي، موسى بن أحمد: زاد المستقنع في اختصار المقنع ص (١٧٢).

(٣) الحجاوي، موسى بن أحمد: زاد المستقنع في اختصار المقنع ص (١٨١).

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث الذي تناول منهج الإمام الحجاوي في كتاب البيوع من زاد المستقنع من خلال دراسة عدد من أبوابه ومسائله، يتبين أن الحجاوي رحمه الله سلك مسلكاً علمياً واضح المعالم في ترتيب المسائل وصياغتها، حيث جمع بين إحكام البناء الفقهي والاختصار في العبارة، فجاء متنه جامعاً لأمهات مسائل الباب مع المحافظة على الإيجاز الذي يميز المتون الفقهية المعتمدة.

كما ظهر من خلال استقراء نصوصه أن الحجاوي يعتني بتقرير القواعد والضوابط الفقهية، ثم يفرع عليها المسائل والصور التطبيقية، مع ترتيب منطقي للمباحث يبدأ غالباً ببيان التعريف أو الأصل العام، ثم ذكر الشروط، ثم التفريعات المتعلقة به، وقد أسهم هذا المنهج في جعل كتابه من المتون الفقهية المعتمدة في المذهب الحنبلي، لما امتاز به من وضوح في العرض، ودقة في التحرير، وحسن في ترتيب المسائل.

وقد كشفت هذه الدراسة عن عدد من السمات المنهجية التي تميز بها الحجاوي في عرضه لمسائل البيوع، وهو ما يظهر قيمة هذا المتن الفقهي ومكانته في الدرس الفقهي عند الحنابلة.

النتائج:

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث ما يأتي:

١ - أن الإمام الحجاوي يبدأ غالباً بذكر التعريف أو القاعدة الكلية قبل الدخول في التفريعات الجزئية للمسألة.

٢ - يظهر في منهجه الترتيب الفقهي المتدرج، حيث ينتقل من بيان حقيقة العقد إلى صيغته ثم شروطه وأحكامه وما يتفرع عنها من مسائل.

٣ - اعتمد الحجاوي التقسيم المنهجي للمسائل، فجعل الأبواب والفصول قائمة على تقسيمات واضحة تسهّل ضبط الأحكام وفهمها.

٤ - يحرص في عرضه على ربط الأحكام بالضوابط الفقهية المؤثرة، مثل الكيل والوزن والقبض والعلم بالمبيع ونحوها.

٥ - يكثر من ذكر الأمثلة التطبيقية المختصرة التي تقرب المسائل الفقهية وتوضح صورها العملية.

٦ - يظهر في منهجه ذكر القاعدة ثم بيان الاستثناءات أو الصور الخارجة عنها.

٧ - يعتني بالتفريق بين الأحكام المتقاربة وآثارها الفقهية، مثل التفريق بين بطلان العقد وبطلان الشرط، أو بين الرد والأرش.

٨ - يمتاز أسلوبه ب الإيجاز الشديد مع كثافة المعنى، حيث يذكر الحكم المعتمد في المذهب دون توسع في ذكر الأدلة أو الخلاف.

٩ - يعتمد في كثير من المواضع على التفريع الفقهي المنظم الذي يربط الفروع بأصولها وقواعدها.

١٠ - يكشف منهجه في هذا الباب عن نزعة تعليمية واضحة تهدف إلى تسهيل ضبط المسائل الفقهية وتقريبها لطالب العلم.

التوصيات:

بناءً على ما توصل إليه البحث من نتائج في دراسة منهج الإمام الحجاوي في كتاب البيوع من زاد المستقنع، يمكن تقديم التوصيات الآتية:

١ - العناية بدراسة مناهج العلماء في المتون الفقهية؛ لما في ذلك من فائدة في فهم طريقة بناء المسائل وترتيبها عند الفقهاء.

٢ - توجيه الباحثين إلى إجراء دراسات منهجية مماثلة لبقية أبواب زاد المستقنع؛ كأبواب الإجارة والوقف والوصايا وغيرها، لإبراز منهج الحجاوي في الكتاب كاملاً.

٣ - تشجيع الدراسات المقارنة التي تعنى ببيان الفروق المنهجية بين مؤلفي المتون الفقهية في المذهب الحنبلي، مثل المقارنة بين منهج الحجاوي ومنهج ابن قدامة أو غيرهما.

٤ - الإفادة من دراسة مناهج العلماء في تطوير مهارات الباحثين في ترتيب المسائل وكتابة البحوث الفقهية على نحو منضبط.

٥ - الاهتمام بتحقيق المتون الفقهية وشرحها شرحاً يبرز المنهج العلمي للمصنفين ويعين طلاب العلم على فهم طرائقهم في عرض المسائل.

٦ - إدخال دراسة مناهج التأليف الفقهي ضمن البرامج التعليمية في الدراسات الشرعية، لما لذلك من أثر في تعميق فهم التراث الفقهي ومنهجية العلماء في تصنيفهم.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم.

أولا: المصادر الأصيلة كتب التراث:

١. الحجاوي، موسى بن أحمد (ت ٩٦٨هـ). زاد المستقنع في اختصار المقنع. تحقيق: عبد الرحمن العسكر. الرياض: مدار الوطن للنشر.

٢. الحجاوي، موسى بن أحمد (ت ٩٦٨هـ). زاد المستقنع في اختصار المقنع. تحقيق: د. عبد المحسن محمد القاسم (ط١). الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٦هـ.

٣. الدهلوي، شاه ولي الله (ت ١١٧٦هـ). الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف. بيروت: دار النفائس، ١٩٨٤م.

ثانياً: المراجع العامة والمدخلية

٤. أبو زيد، بكر بن عبد الله. المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل (ط١). جدة: دار العاصمة، ١٤١٧هـ.

٥. الباحسين، يعقوب بن عبد الوهاب. التخريج عند الفقهاء والأصوليين (ط١). الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٤هـ.

٦. الزرقا، مصطفى أحمد. المدخل الفقهي العام. دمشق: دار القلم، ١٩٩٨م.

٧. الخادمي، نور الدين بن مختار. علم المقاصد الشرعية. الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٥م.

٨. الندوي، علي أحمد. القواعد الفقهية. دمشق: دار القلم، ١٩٩٤م.

ثالثا: الدوريات والبحوث المنشورة:

٩. منصور، هبة محمد خالد. «المناهج الأصولية في دراسة موضوعات التعارض والترجيح موازنة ومقارنة». مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (١٩٢)، ج٢، مارس ٢٠٢٠م.

رابعا: الكتب الحديثة:

١٠. محمد، هشام. ترتيب الموضوعات الأصولية ومناسباته.. دراسة استقرائية تحليلية. القاهرة: دار أم القرى.